**المحاضرة الأولى:**

**قضية الوضوح والغموض**

قضية الوضوح والغموض من قضايا النقد العربي القديم البارزة، وقد ارتبطت بقضية اللفظ والمعنى، كما ارتبطت بأبي تمام على وجه التحديد، لذلك فإن مؤلفات العصر العباسي ناقشت القضية وأشارت إليها.

ويراد بالوضوح ''أن يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ويكون واضحا إذا جاء عن طريق ألفاظ دقيقة في معناها، ثم ركب بعضها بجوار بعض تركيبا ترضى عنه قواعد النحو، وألا يطول الفصل بين أركان الجملة ... وأن يقتصر في استخدام المحسنات البديعية، فإن فقد شرط من الشروط السابقة خفي المعنى، ولم يتضح المراد بالكلام، واتسمت العبارة بالتعقيد، فوضوح المعنى مقياس من مقاييس جودة الشعر''

**الوضوح والغموض وأبي تمام: لماذا ارتبط اسم أبو تمام بالقضية؟**

[**أبو تمام الطائي حياته ومذهبه اشعري**](http://ns1.almothaqaf.com/b2/924722-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%AA%D9%85%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87-%D9%88%D9%85%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%87-%D8%A7%D8%B4%D8%B9%D8%B1%D9%8A)**:** هو حبيب بن أوس من قبيلة طي العربية. وتكاد تتفق جميع المصادر على أنه ولد في قرية جاسم في حوزان من أعمال دمشق، إلا أنها (المصادر) تختلف اختلافا واضحا – في سنة ميلاده بين 172 و188هـ 190هـو 192 هـ. انتقل الشاعر مع أسرته إلى دمشق منقبا عن القوت وطلبا للعلم والمعرفة، وكان يختلف إلى المساجد وحلقات الدرس والتحصيل، فحفظ القران، واطلع على معظم العلوم الشائعة في عصره، وسرعان ما فاض نبع الشعر، رحل الى مصر، وواصل بها طلب العلم والمعاش معا فكان يسقى الناس الماء في المسجد الجامع ويتلقى في ذات الآن ألوان العلم والمعرفة. بعد وفاة المعتصم اتصل بكاتب الدولة الحسن بن وهب الذي ولاه على يريد الموصل سنة 228 فبقي بها إلى أن أدركه أجله في سنة 231هـ ورفاته اليوم محفوظ في ضريح ضخم في حديقة البلدية بالموصل.

وتشير كل الأخبار التي تناولت شخصيته على أنه كان أسمر اللون طويلا وأنه كان يتأنق في ملابسه ، وكان أجش الصوت ولذلك غالبا ما كان يصحب معه غلاما ينشد أشعاره، لكن عندما ينشد هو ويسترسل في الإنشاد يستوي لسانه ويستقيم لفظه وإلى جانب هذه الأوصاف الظاهرة كان يتصف بأوصاف فكرية وأدبية وخلقية كثيرة أهمها: شعفه بالدراسة وألوان العلم والثقافة. أورد ابن خلكان أن لشاعرنا من المحفوظ مالا يتحقق لغيره وروى أنه كان يحفظ أزيد من أربعة عشر ألفا أرجوزة غير القصائد والمقاطع وتحدث الآمدي عن شغفه برواية الشعر ونقده والتأليف فيه فيقول " كان أبو تمام مشهورا بالشعر مشعوفا به مشغولا مدة عمره بتبحره ودراسته وله كتب واختيارات فيه مشهورة ومعروفة ... وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وأنه اشتغل به وجعله وكده (...) واقتصر من كل العلوم والآداب عليه ما شيء كبير من شعر جاهلي وإسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه، ولهذا أقول أن الذي خفي من سرقاته أكثر مما قام منها على كثرها".

**الخصائص الفنية لشعر أبي تمام:**

ابتدع أبو تمام مذهبا شعريا جديدا وبالغ فيه وأفرط حتى عرف به، قال الصولي في معرض دفاعه عنه: " هو رأس في الشعر مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه حتى قبل مذهب الطائي وكل حادق بعده ينسب إليه ويقني أثره". ونجد نفس الفكرة لدى الآمدي إذ يقول على لسان صاحب أبي تمام: "فأبو تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه أولا وإماما متبوعا وشهر به حتى قيل مذهب أبي تمام وطريقة أبي تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا أثره. وهكذا تنبه النقاد والأدباء إلى ما في شعر أبي تمام من خروج على ''عمود الشعر'' وما في شعره من جديد يخالف مقومات الشعر فانقسموا إلى فريقين: فريق يناصره ويبرز محاسنه واختراعاته وتجديده، وآخر يطعن في شعره ويعاديه ولا يرى في تجديده إلا تصنعا وتكلفا وغموضا وغرابة.

**الغموض والتعقيد:** كان أبو تمام شديد الاتكاء على نفسه وعقله وتفكيره في نظم الشعر، كقوله:

لو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت   حياضك منه في العصور الذواهب

و لكنــه صوب العقول إذا انجلت    سحائب منه أعقـــبت بسحائـــب

ولذلك عده النقاد أكثر الشعراء المجددين اختراعا للمعاني وابتداعا للأفكار قال ابن رشيق " وأكثر المولدين اختراعا وتوليدا فيما يقول الحذاق أبو تمام وابن الرومي". فقد كان كثير الاعتماد على العقل مما جعل بعض شعره غامضا ومعقدا، ويرجع اختفاء المعاني في شعره أحيانا إلى اللفظ الغريب الأعجمي واحيانا منها ما يخفى وراء ألفاظ سهلة قريبة ومن الأمثلة على ذلك قوله:

يتجنب الآثام ثم يخافها    فكأنما حسناته آثام

وأيضا قوله:

و لهت فأظلم كل شيء دونها    وأثار منها كل شيء مظلم

هكذا نلاحظ في هذين المثالين ومثلهما كثير في شعره – أن كل الألفاظ واضحة لكن المعنى قد يستعصي على القارئ البسيط. إلا أنه أحيانا أخرى قد يستعمل ألفاظا غريبة

**الإسراف في طلب البديع:** لقد كان أبو تمام يلح على البديع كثيرا إلى درجة أنه كان يتكلف ويتصنع يقول الآمدي نقلا عن بعض النقاد القدامي أن أبا تمام يريد البديع فيخرج إلى المحال ... وأن أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد وأن أبا تمام تبعه، فسلك في البديع مذهبه فتخير فيه كأنهم يريدون إسرافه في طلب الطباق والتجنيس والاستعارات وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثيرا مما أتى من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها إلا مع ألكد والفكر وطول التأمل ومنه لا يعرف معناه إلا بالحدس.

والأمثلة في شعره أكثر من أن تحصى ولعل من أبرزها، وأبعدها تعسفا وتكلفا قوله:

تُظِل الطلولُ الدمعَ في كل موقف   وتمثل بالصبر الديار المواثل

دَوَارِسُ لم يجفُ الربيعُ ربوعَها   ولا مر في أغفالها وهو غافل

فقد سحبت فيها السحائب ذيلها     وقد أخملت بالنور منها الخمائل

تعفين من زادِ الحفاة إذا انتحى   على الحي صرف الأزمة المتحايل

لهم سلفٌ سمر العوالي وسامرٌ     وفيهم جمال لا يغيض وجامل

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ أن الغموض والتكلف وكثرة المحسنات البديعية يحيل بين القارئ وتتبع معنى القصيدة والاستمتاع بجمالها إذ يقطع ذلك الانشغال بفهم الأبيات.

**المبالغة:** من أمثلتهاقول أبو تمام.

من الهيف لو أن الخلاخل صيرت   لها وشحا جالت عليها الخلائل

قال صاحب الأغاني: ''قال الجرجاني:''... كيف حال من يجول الخلخال من عاتقها إلى كشحها هل تكون من البشر فضلا عن أن تنسب إلى الحسن؟ و قوله:

عاقبت جود أبي سعيد إنه   بَدُنَ الرجاء وكان نحيفا

**استخدام الألفاظ الوحشية الغريبة والتراكيب المباينة لتقاليد الشعراء**: قال الآمدي: ''وجدت أهل الخفة من أصحاب البحتري ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفة لا يدفعون أبا تمام عن لطيف المعاني ودقيقها والإبداع والإغراب فيها والاستنباط لها، وإذا كان هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبتهم وهو لطيف المعاني وبهذه الخصلة دون ما سواها فضل امرؤ القيس لأن في شعره دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما في أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام.

**مصادر ومراجع للتوسع:**

-محمد صايل حمدان وآخرون: قضايا النقد القديم.

- الأمدي: الموازنة بين الطائيين.

 - الصولي: أخبار أبي تمام.

  - شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي.